[323] أكلت منها شيئا أن أتلف فأستريح مما أنا فيه. فقلت لبعضهم: أطعمني من هذه الحيات. فرمى إلى واحدة منها مشوية فيها أرطال فأكلتها بأسرها وأمعنت طالبا للموت فأخذني نوم عظيم. فانتبهت وقد عرقت عرقا عظيما واندفعت طبيعتي فقمت في بقية يومى وليلتي أكثر من مائة مجلس إلى أن سقطت طريحا وجوفي يجرى. فقلت: هذا طريق الموت وأقبلت أتشهد وأدعو ا عزوجل بالمغفرة. فلما أضاء الصبح تأملت بطى فإذا هي قد ضمرت وزال عنها ما كان بها. فقلت أي شئ ينفعني من هذا وأنا ميت فلما أضحى النهار وانقطع القيام وجبت صلاة الظهر فلم أحس بقيام وجعت فجئت لازحف على العادة فوجدت بدنى خفيفا وقوتى صالحة فتحاملت فمشيت فطلبت منهم مأكولا فأطعموني فقويت فبت في الليلة الثانية معافا ما أنكر شيئا من أمرى فأقمت أياما إلى أن وثقت من نفسي بأنى إن مشيت نجوت فأخذت الطريق من بعضهم إلى أن صرت على المحجة ثم سلكتها إلى الكوفة مشيا. حدثنى أبو الفضل محمد بن عبيد ا بن المرزبان الشيرازي الكاتب، قال: حدثنى القاضى أبو بكر الجعابى الحافظ، قال: دخلت يوما على القاضى أبى الحسين ابن القاضى أبى عمر رحمهما ا وهو مغموم فقلت: لا يغم ا قاضى القضاة ما هذا الحزن الذى أراه به ؟ قال: مات يزيد المائى. فقلت: يبقى ا قاضى القضاة، ومن يزيد الماتى حتى إذا مات اغتم عليه قاضى القضاة هذا الغم كله ؟ فقال ويحك: مثلك يقول هذا في رجل أوجد لنا صناعة فخيمة. قد مات وما ترك في حذقه أحد وهل تفخر البلدان الا بكثرة رؤساء الصنائع وحذاق أهل العلوم فيها فإذا مضى رجل لا مثيل له في صناعته لابدل الناس فرحهم بالترح، وهل يدل هذا إلا على نقصان العالم، وانحطاط البلدان. قال: ثم أقبل يعدد فضائله والاشياء الظريفة التى عالج بها، والعلل الصعبة التى زالت بتدبيرها فذكر من ذلك أشياء كثيرة كان منها إذ قال: لقد أخبرني مذ مدة رجل من جلة أهل هذه البلد أن كان حدث بابنة له علة فكتمت أمرها ثم اطلع عليها أبوها فكتمها هو مدة ثم انتهى أمر البنت إلى حد الموت قال: فقلت لا يصح ترك